"صح قلت اني اروم ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أُريد بذلك القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتوبل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليجلهُ محل النظر والاعتبار"

وتاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطَّلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تمامًا فلم تشارك الدول الاوربية في شيء الاَّ بعد ان قوي ساعدها ولم تعد تخشى اعتداءهم عليها. ثم لما رأت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار فحالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتتحدَّاها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب انْ يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير بمأمنٍ منهُ . ولكن لو عمَّت حقوق الدول لصارت الممالك الضعيفة في غنًى عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنَّب الممالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

سكان مصر الاقدمون

ان تاريخ مصر المسطَّر في كتب المؤرخين الاقدمين وفي ما كُشف من الكتابات المصرية يمتد الى عهد الملك مينا وهو اول ملك من ملوك الدولة الاولى التي قامت قبل المسيح بنحو ٤٤٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة برغش او قبل المسيح بنحو ٥٠٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة ماريت لكن سكنَ القطر المصري امم كثيرة قبل زمن الملك مينا كُشفت آثارها فيهِ منذ عهد قريب . واقدم هذه الآثار موجود في الصحراء على جانبي وادي النيل واكثرها من الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يكسرونها ويسوُّونها لتكون نصالاً للسهام وسكاكين للقطع وادوات للحرب

وقد كان هذا القطر منخفضًا بفعل طبيعي بركاني وكان ماء النيل يغمرهُ ويعلو مئات من الاقدام فوق الحد الذي يبلغهُ الآن . ثم اخذت ارضهُ ترتفع رويدًا رويدًا بفعل طبيعي والنيل ينحسر عنها وينخفض بارتفاعها الى ان بلغ الحد الذي يبلغهُ الآن

ويظهر من تقدير العلمي الذي يرسب في النيل سنويًّا ان الزمن الذي ابتدأَ فيهِ ماء النيل ينحسر عن واديهِ وتظهر الارض الزراعية ليس بعيدًا جدًّا فقد قال الاستاذ بتري انهُ كان قبل المسيح بنحو سبعة الآف او ثمانية الآف سنة ومن رأيهِ ان الانسان هاجر الى هذا القطر

حينما ابتدأ ماء النيل ينحسر عن الاراضي الزراعية فسكن المرتفعات التي حولها وكان يعيش من صيد سمكها واقتناص طيورها ويصنع الظران من صوان الصحراء ولم تزل مصانعهُ فيها الى الآن. وعندهُ ان الانسان الذي قصد القطر المصري اولاً من بقايا الاقوام الذين سكنوا اوربا في العصر الحجري القديم فان قطع الصوان التي وجدت من آثارهم في هذا القطر مثل القطع التي وجدت في المدافن القديمة في فرنسا وانكلترا. ولم يظهر من آثارهم في اوربا ما يكفي للدلالة عليهم لان الامطار والسيول جرفت عظامهم من مدافنهم او فتتتها ولكن يرجى ان يكشف من آثارهم في هذا القطر ما يدلُّ عليهم دلالة واضحة فقد كُشف في اقدم مدافنهم المصرية عظام تدلُّ على انهم كانوا من شعبين مختلفين الواحد دقيق العظام مثل الاقوام الساكنة الآن في سواحل بحر الروم والثاني غليظ العظام مثل الشعوب الافريقية المعروفة بالبشمن الساكنة في جنوبي افريقية. ثم ان آثار هذا الشعب الاخير زالت سريعاً كأن الشعب الدقيق العظام كان ارقى منهُ حضارة واوفر حيلة فتغلب عليهِ وطردهُ من وجههِ فلجأ الى مجاهل افريقية وما زال يوغل فيها امام الشعوب المرتقية الى ان وصل الى جنوبيها

وقد كُشفت الوف من قبور هؤلاء الاقوام في القطر المصري وعُلم من البحث في آثارهم ما يأتي ملخصاً مما كتبهُ الدكتور بدج حديثاً في هذا الموضوع

اولاً. ان هذا الشعب القديم او "الشعب الجديد" كما سماهُ بتري سكن القطر المصري قبل المصريين الذين نشأت منهم الدول المصرية المعروفة. واول من حقق ذلك واقام الادلة الكثيرة عليهِ هو المسيو ده مورجان الذي كان منذ بضع سنوات مديراً لدار التحف المصرية في هذا القطر

ثانياً. انهم مثل سكان شمالي افريقية وكانوا بيض الابدان شقر الشعور او ان شعرهم كان اسود ولكن ملح الارض التي دفنوا فيها جعلهُ يشقرُّ. رؤوسهم مستطيلة من الامام الى الوراء كرؤوس الاوربيين وشعرهم قصير رجالاً ونساء ولحاهم طويلة مستدقة ووجوههم بيضية الشكل وشفاههم بارزة قليلاً وعيون نسائهم طويلة لوزية الشكل وحواجبهن طويلة مقوسة وقامات الرجال والنساء طويلة واجسامهم نحيفة وكانوا يشمون اجسامهم بصور الحيوانات ويقيمون عراة لا يلبسون ثياباً ولكن رؤساءهم كانوا يتزدون بجلود الحيوانات من المعزى والغزلان يصنعونها تبابين ومآزر ويربطونها حول احقائهم ويبقون اذنابها معلقة بها تتدلَّى من ورائهم ويبقى ذلك شائعاً في عهد الدول المصرية. ثم صار نساؤهم يلبسن قميصاً يصل من الوسط الى الكاحل وسائر الجسم يبقى عارياً. وقد علم ذلك كلهُ من عظامهم ومن تماثيل العظم والعاج التي وجدت في مدافنهم. والصورتان التاليتان من صورهم وهما مصنوعتان من العاج وتمثلان امرأتين وكانت الصور الاولى

تمثلهنّ من غير شعر ثم صرنّ يطلقنّ شعورهنّ ويقصينها كما ترى في هذين الشكلين وكان للشكل الاول منهما عينان من اللازورد كأنهُ اريد بهِ الدلالة على ان العينين كانتا زرقاوين

ولم يكونوا يعرفون نسج المنسوجات لانهُ لم يكشف اثرلها بين آثارهم لكنهم كانوا يعرفون قطع الحجارة وصقلها فان نساءهم كنّ يتقلدنَ بقلائد من العقيق واليشم والصوان والصدف وعرق اللؤلؤ وكانوا يصنعون الدمالج من الصوان على ما في عملها من الصعوبة والمهارة . ووجدت بين آثارهم امشاط من العظم قصيرة الاسنان طويلة المقابض منقوشة من رؤوسها كالامشاط التي يشكل النساء شعورهنّ بها الآن

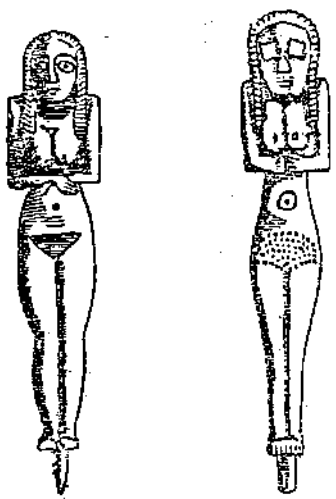

(الشكل الاول) تمثالا امرأتين مصنوعان من العاج

ومن آثارهم الغريبة التي وجدت في مدافنهم قطع من العاج في اشكال التماثيل مجوفة ولها غطاء صمغي وفيها مسحوق ملون كالكبريت او كالانتيمون كأنها كانت مكاحل للنساء . ولعلّ المثل العربي القائل صارت عظامهُ مكاحل مأخوذ عن هذه العادة . وكانت مساكنهم اكواخاً من القصب واغصان الاشجار مثل الاكواخ المستعملة في بعض جهات السودان الان

وكانوا يدفنون موتاهم ملفوفين بجلود الحيوانات وهذا يدل على اشتغالهم بالصيد . ثم ان كثرة وجود العاج بين مصنوعاتهم يدلُّ على ان الفيل كان كثيراً في القطر المصري وقد سميت جزيرة ابو او جزيرة الفيل الفنتين باسمهِ لان معنى "ابو" الفيل . ولم يكن صيد

الحيوانات الكبيرة كالفيل والكركدن والتمامة بالامر الصعب عليهم لان هذه الحيوانات تجتمع في الجزائر التي تحيط بها مياه النيل بعد الفيضان

وكانت اسلحتهم من الظران اي قطع الصوان المصنوعة في اشكال النبابيت والفؤوس والحراب والسهام . وقد وجد كثير منها في مدافنهم وتدل اشكالها المرسومة في الشكل الثاني على انهم كانوا يعتنون بعملها وقد مهروا في ذلك مهارة فائقة فصنعوا بعضها في شكل النصال وبعضها في شكل رؤوس الكباش وقرونها . وبقي المصريون يستعملون الظران بعد ان اكتشفوا عمل الادوات من المعادن

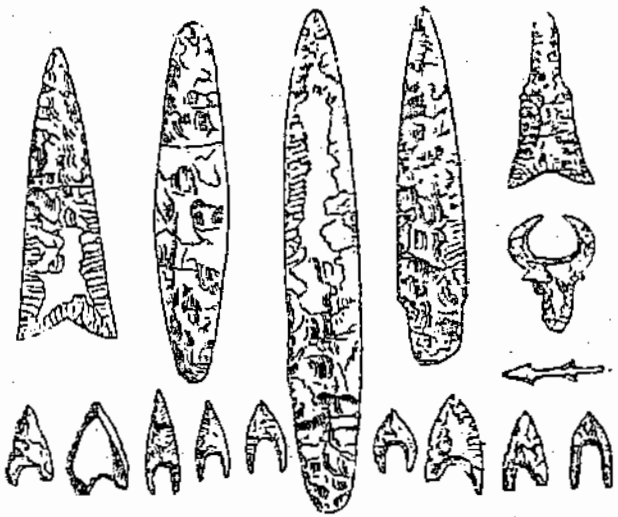

(الشكل الثاني) ادوات الظران رؤوس حراب وسهام

وتفننوا في عمل الادوات من العظم والعاج والحجر وعملوا منها آنية مختلفة ولم يتركوها سادجة بل نقشوا ظاهرها بخطوط لولبية وخطوط متموجة . وانتقلوا الى عمل الخزف وآنيتهم الخزفية متقنة الصنع نوعاً وجيها صقيل كأنهم كانوا يصقلونها بقطع الصوان . ولون خزفها اسود او احمر وبعضهُ ملون وعليهِ صور الناس والحيوانات وتصويرهم للحيوانات متقن لاسيما الغزلان

اما مدافنهم وهي المعدة في آثارهم فالمتوغلة منها في القدم محفورة في الصحراء والغالب ان تكون الحفرة مستديرة وقريبة بعضها من بعض حتى قد تتصل رمة الدفين الواحد برمة الدفين الآخر . يوضع الدفين فيها على جانبهِ الايسر ويوجَّه رأسهُ الى الجنوب غالباً وترفع ركبتاهُ حتى توازيا صدرهُ وتوضع يداهُ امام وجههِ كما في الشكل الثالث ويوضع حولهُ آنية مختلفة من الخزف وادوات من الصوان والعظم والعاج . وقد يلف جسمهُ بجلد غزال ويربط بسرائد منهُ . او يوضع على حصير من

القصب . ولم يكونوا يحنطون موتاهم . ثم صاروا يبنون القبر او يبطنونهُ بالحجارة او بالاجر ويحرقون الميت كلهُ او بعضهُ فاذا حُرق كلهُ طرحوا ما بقي من عظامهِ في القبر من غير انتظام واذا حرقوا

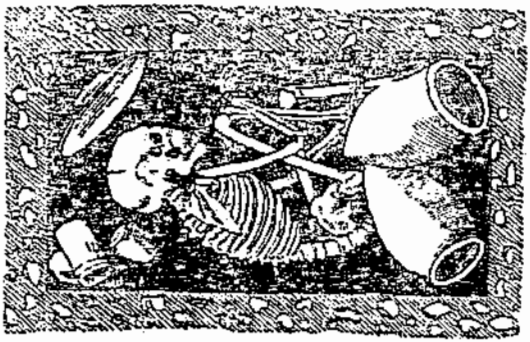

(الشكل الثالث) قبر قديم وضع الميت فيهِ على جنبهِ الايسر والقبر مبطن بالاجر وفيهِ آنية خزفية مختلفة

بعضهُ دفنوهُ دفنًا كما يدفنون الميت الذي لم يحرق . ويحتمل ان هذه الاجسام المحروقة كلها او بعضها لم تحرق عن قصد بعد موتها بل حرقت في الاكواخ بنار شبَّت فيها فجمعت منها ودفنت

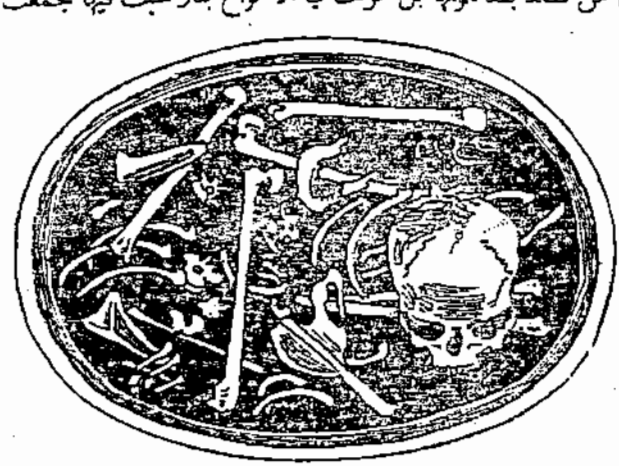

(الشكل الرابع) قبر فيهِ عظام كثيرة مجردة من لحمها

وقد توجد العظام في القبر مفصولة بعضها عن بعض كما ترى في الشكل الرابع ويظهر لنا انها عظام اناس قتلوا في الحرب فجمعت ودفنت بعد ان اكلت السباع لحمها

هذه خلاصة ما عرف عن هؤلاء الاقوام وسنأتي في الجزء التالي على ما يُظَن من امر الامة التي دخلت القطر المصري ونشأت منها الدول المصرية الاولى